ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح54) / عبد الحليم الغزّي
المذهب الطوسي (ج35)
كينونة دين العترة الطاهرة (ق3) اصل الدين الامام المعصوم
الاحد : 23/جمادى الاولى/1444هـ - الموافق 18/12/2022م

الجزءَ الخامسُ والثلاثون من عُنواننا الـمُتقدِّمِ في الحلقات الماضية: "الـمَذْهَبُ الطوسي".
لا زلتُ أُحدِّثكم تحتَ عُنوان: "كَيْنُونَةُ دين العترة الطاهرة"، وهذا هو القسمُ الثالث.
سآخذكم إلى جهةٍ أخرى من جهات كَيْنُونَةِ دين العترة الطاهرة، مثلما قلتُ لَكُم من أنَّ حديثي عن كَيْنُونَةِ دين العترة الطاهرة يأتي في سياق: "إنَّما تَستبين الأشياءُ من خلالِ بَيانِ أضدادها"، فحينما نَطَّلِعُ على مَضمونِ كَينُونَةِ دين العترة الطاهرة فإنَّنا سنكتشفُ بِشَكلٍ مُباشرٍ وبشكلٍ غير مُباشرٍ كَيْنُونَةَ الـمَذْهَب الطوسي الضالّ..
دينُنا لهُ أصلٌ واحد وهذا هو جَوهرُ كَيْنُونة دين العترة الطاهرة، أمَّا منظومةُ أصول الدِّين الخَمْسة فذلكَ ضلالٌ جاءنا بهِ الطوسيّ المشؤوم، جمعَ لنا ما بَينَ ما قالَتهُ الأشاعرة، وما قالتهُ المعتزلة، وأضافَ الإمامة بنحوٍ مَجزوءٍ إلى منظومةِ عقيدة الضلالِ هذه.
•ديننا لهُ أصلٌ واحد.

سأبدأُ من الكتاب الكريم:
الآيةُ الرابعةُ والأربعون بعدَ البسملة من سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾، مرّ الكلامُ علينا في الحلقة الماضية من أنَّنا لا نمتلكُ تعريفاً لحقيقة الوَلاية، أتحدَّثُ عن وَلايةِ اللّه وعن وَلايةِ مُحمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّتي هي بنفسها وعَينها وذَاتها وَلايةُ اللّه، نحنُ لا نمتلكُ تعريفاً، لكنَّنا نتلمّسُ آثارها، قطعاً بحدودِ مداركنا، بحسبِ أوعية قُلوبنا وما تَتَّسعُ لَه.
شيءٌ واحد، عُنوانٌ واحد، مَردُّ كُلِّ شيء إليه، (وَلايَةُ اللّه)، ما يرتبطُ بوجودنا وآثار وجودنا، ما يرتبطُ بماضينا وحاضرنا ومُستقبلنا، ما يرتبطُ بوجودنا في الدُّنيا وبوجودنا في الآخرة، ما يرتبطُ بِظُهورنا في عالمِ الشَّهادة وعالمِ الطبيعة وما كُنَّا عليه وما سنكونُ عليه في عوالمِ الغَيب كُلُّهُ من أوَّله إلى آخره ومن ظاهره إلى باطنه مردّهُ إلى عنوانٍ واحد؛ "الوَلاية"، هذا العنوان عُنوان الوَلايَةِ الإلهيّة يتجلَّى في وَلايةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وعنوانُ وَلايةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ يتجلَّى في إمامِ كُلِّ زمانٍ من الأزمنة، ففي زماننا يتجلَّى عنوانُ وَلايَةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ في وَلايةِ الحُجَّةِ بن الحسنِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، هذا هو أَصلُ دينِنا.
الآيةُ التاسعةُ والثمانون بعد البسملة من سورة النمل، وكذلكَ الآيةُ الَّتي تَليها لكنَّ كلامي يرتبطُ بشكلٍ خاص بالآية الَّتي أشرتُ إليها: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾، هذه الحسنةُ هي الوَلايةُ..
الأحاديثُ موجودةٌ في الجزءِ الأوَّل من الكافي الشريف لشيخنا الكليني المتوفّى سنة (328) للهجرة..
الآيةُ تتحدَّثُ عن حسنةٍ واحدة؛ "مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ"، الألف واللام هُنا للعهد، لشيءٍ معهودٍ في أذهاننا، في أذهان الَّذينَ يعرفونَ تَفسير القُرآنِ بحسبِ مَضمون بيعة الغدير..
-وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ﴾، إنَّها سَيِّئةٌ معهودةٌ في الأذهانِ أيضاً بالنسبةِ للَّذينَ يقرؤونَ القُرآنَ ويُفسِّرونَهُ بحسبِ مضمونِ بيعة الغدير، "وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ"، هذه مُنافرةٌ مُناقضةٌ لتلكَ الحسنة.
" -اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاه"؛ الحسنة.
" -وَعَادِ مَن عَادَاه"؛ السيِّئة.
" -وَانْصُرْ مَن نَصَرَه"؛ إنَّها الحسنة.
" -وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَه"؛ إنَّها آثار السيئة.
-وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
في سورة آل عمران، الآية التاسعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة، موطن الشاهد منها أوَّل الآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾، أيِّ إسلام؟ إنَّهُ إسلامُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، الإسلامُ هُنا بحسبِ تعريفهم لإسلامهم الإسلامُ هو التَّسليم، هكذا عَرَّفوه، التَّسليمُ لِمن سادتي آلَ مُحَمَّد؟ التَّسليمُ لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، التَّسليمُ لعليٍّ وآلِ عليٍّ، التَّسليمُ لفَاطمةَ وآلِ فَاطمة، المعنى واحد المضمونُ واحد..
في سورة آل عمران، الآية الخامسة والثمانين بعدَ البسملة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، ولن للنَّفي التأبيدي، هذا هو الإسلامُ الَّذي عُبِّرَ عنهُ بالحسنة في الآية التاسعة والثمانين بعدَ البسملة من سورة النمل، وهُوَ هُوَ الوَلاية في الآية الرابعة والأربعين بعدَ البسملة من سورة الكهف.
-وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، إسلامُ مَن هذا؟ إسلامُ عليٍّ وآلِ عَلِيٍّ، عُنوانُ صَحيفَةِ الْمُؤْمِنِ في يوم القيامةِ حُبُّ عَلِيِّ بن أبي طَالب، السؤالُ سيكونُ عن وَلايةِ عَلِيِّ بنِ أبي طَالب..
في الآيةِ السابعة والستين بعدَ البسملة من سورة المائدة وهي الآيةُ الأم في قُرآننا المفسَّر بحسبِ مَواثيقِ بيعة الغدير، وهي الآيةُ الأم في عقيدتنا، هذه الآيةُ هي الَّتي تُؤسِّسُ لديننا أصلاً واحداً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، الرسالةُ بتوحيدها، ونُبوّتها، وقُرآنها، بِكُلِّ حقائقها، بِكُلِّ ظواهرها وبواطنها، بِكُلِّ تفاصيلها ومُجملها تساوي صفراً من دونِ بيعة الغدير، "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ فِي عَلِيٍّ"، هكذا كانَ يقرؤها ابنُ مسعود وبعضُ الصحابة وهذا مُثبتٌ في كُتُبِ المخالفين في كُتُبهم وفي قراءاتهم، "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ فِي عَلِيٍّ ومن أنَّهُ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ"، هكذا كانَ يقرؤها ابنُ مسعود في كُتُبهم في كُتُب نواصبِ سقيفةِ بني ساعدة، قطعاً لا تتوقَّعونَ منهم أنَّهم سيوثِّقونَ هذه الأحاديث، هي موجودةٌ في كُتُبهم لكنَّهم يُضَعِّفونها..
فالرِّسالةُ تُساوي صفراً من دونِ بيعة الغدير - وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، الَّذينَ يكفرونَ ببيعة الغدير مثلما كفرت سقيفةُ بني ساعدة بحسبها، ومثلما كفرت سقيفةُ بني طوسي بحسبها.
الحديثُ عن بيعة الغدير، وبيعةُ الغدير شأنٌ من شؤونِ وَلايةِ عليٍّ، شأنٌ من شؤونِ إمامة عليٍّ، وكُلُّ ذَلكَ هُو من شُؤونِ عليٍّ، فبيعةُ الغديرِ من شُؤونِ إمامَته، والإمامةُ من شؤونِ وَلايته، فعليٌّ هُو أصلُ الأصول، الإمامةُ من شُؤونه، والوَلايةُ من شؤونِ إمامته، وبيعةُ الغديرِ من شؤونِ وَلايته، فأصلُ الأصولِ عليٌّ هذا هو الَّذي يتحدَّثُ عنهُ القُرآن..

هذا المعنى يتَّضحُ جلياً في الآية الثالثة بعدَ البسملة من سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فما كانَ الدِّينُ ديناً بالتوحيد، ولا كانَ الدِّينُ ديناً بنبوّة مُحمَّد، ولا كانَ الدِّينُ ديناً بقُرآن مُحمَّد، إنَّما صارَ الدِّينُ ديناً بِوِلايَة عَلِي، هذه الآيةُ بحسبِ ثقافتنا الشيعيّة في بيعة الغدير - وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ هذا هو الإسلامُ الَّذي مَرَّ الحديثُ عَنهُ قبلَ قليل: ﴿هُنَالِكَ الوَلاَيَةُ﴾..

قبلَ بيعة الغدير لَيسَ هُناكَ من إسلام، هُناكَ شَبحٌ للإسلام..

﴿الْيَوْم - إنَّهُ يوم الغدير - الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ من دِينِكُمْ - الْيَوْم، لماذا؟ لأنَّ دينكم صارَ ديناً، ما كانَ ديناً صارَ ديناً حقيقياً ومِن هُنا يَئِسَ الَّذينَ كفروا من دينكم - فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، هذا هو الأصل، الدِّينُ لهُ أصلٌ واحد يا أيُّها الشيعة..

الآيةُ الثانيةُ والثمانون بعدَ البسملة من سورة طه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾، "ثُمَّ اهْتَدَى"؛ ثُمَّ اهْتَدَى إلى الأصل، كُلُّ هذا لا معنى لهُ؛ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً - لا معنى لهُ - ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

في (الكافي الشريف)، ما جاء عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه وهُو يُحدِّثنا فيقول: (حَتَّى تُسَلِّموا أَبْوَاباً أَرْبَعةً لَا يَصْلَحُ أَوَّلُها إِلَّا بِآخِرِها، ضَلَّ أَصْحابُ الثَّلاثَة وَتَاهُوا تِيهاً بَعِيداً)، أصحابُ الثلاثة: "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً" من دُونِ "ثُمَّ اهْتَدَى"، ضَلّوا ضلالاً بعيداً، لماذا؟ لأنَّهم لَم يتمسَّكوا بالأصل وإنَّما تَمسَّكوا بأشياء أُخرى، تَمسَّكوا؛ "بالتوحيد، بالنُبوَّة، با لمعاد"، ولذلك تابوا وآمنوا وعَملوا صالحاً، كيفَ تابوا وآمنوا بعدَ توبتهم وعَملوا صالحاً ما لم يتمسَّكوا بالتوحيد والنُبوَّة والقرآن والمعاد؟! لكنَّهم لَم يتمسَّكوا بالأصل الواحد، لم يجعلوا دينهم مبنياً على الأصل الواحد "ثُمَّ اهْتَدَى"، كما قَالَ رسولُ اللّه صلَّى اللّه عليه وآله لأمير المؤمنين: (ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وَلَايَتِك)، قرأتُ ذلكَ عليكم من الزيارة الغديريّة المرويّة عن إمامنا الهادي صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه..

إلى أن يقولَ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ فَاتَ قَوْمٌ وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَهْتَدوا وَظَنُّوا أَنَّهم آمَنوا وَأَشْرَكُوا من حَيثُ لَا يَعْلَمُون)، هذا الَّذي جرى على أسلافنا، على أجدادنا وآبائنا مُنذُ سنة (448) للهجرة، حينما أسَّس لنا الطوسي منظومةَ العقائد هذه، ولا زالَ مراجعُ النَّجف وكربلاء يُقلِّدونَ الطوسي في منظومة الضلال هذه..

) بصائر الدرجات) لشيخنا الصفَّار من أصحابِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه ومن رجال الغَيبة الأولى/ طبعةُ مُؤسّسة النعمان/ بيروت/ لبنان/ الصفحة السادسة والأربعين، الحديثُ الثامن، أذهبُ إلى موطن الحاجة منه: (عَن أبي حَمْزة الثُّمالي، عَن إمامنا الباقرِ صَلواتُ اللّه وسَلامُه عَلَيه - يُحدِّثنا الإمامُ الباقرُ عَن رسول اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله وهُو يُخاطبُ أمير المؤمنين: يَا عَلِيّ أَنْتَ أَصْلُ الدِّيْن - ويستمرُ في كلامه: وَمَنَارُ الإِيْمَانَ وَغَايَة الْهُدَى - إلى أن يقولَ رسول اللّه لأمير المؤمنين: أَشْهَدُ لَكَ بِذَلك)، تُلاحظونَ التطابُقَ والتوافُقَ الكامل مع آيات الكتاب الكريم، هذه أحاديثُهم، هؤلاء السَّفَلَة في النَّجف وكربلاء يُشكِّكونَ في كتابِ شيخنا الصفَّار (بصائر الدرجات)..

في الكتابِ نفسه في (بصائر الدرجات) لشيخنا أبي جعفرٍ الصفَّار رضوانُ اللّه تعالى عليه، رسالةٌ طويلةٌ كتبها إمامُنا الصَّادقُ إلى المفضَّل بن عمر تبدأ في صفحة (477)، وتستمرّ الرسالةُ الطويلةُ إلى صفحة (484)، في طوايا هذه الرسالة إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه يكتبُ بخطِّ يده إلى المفضَّل، من الصفحة (479) الإمامُ يقولُ لهُ: (ثُمَّ إنِّي أُخبِرُكَ أَنَّ الدِّيْنَ وَأَصْلَ الدِّينِ هُوَ رَجُل، وَذَلكَ الرَّجُلُ هُوَ اليَقِين وَهُوَ الإِيْمَان وَهُوَ إِمَامُ أُمَّتِه وَأَهْلِ زَمَانِه، فَمَن عَرَفَهُ عَرَفَ اللّه وَمَنْ أَنْكَرَهُ أَنْكَرَ اللّهَ وَدِينَه، وَمَنْ جَهِلَهُ جَهِلَ اللّهَ وَدِينَهُ وَحُدُودَهُ وَشَرَائِعَه)، الكلامُ واضحٌ هل يحتاج إلى شرح؟!

في الكافي/ الجزء الأوَّل/ طبعةُ دارِ الأسوة/ طهران/ إيران/ حديثُ إمامنا الرِّضا الحديثُ الَّذي يبدأ في الصفحة الثانية والعشرين بعدَ المئتين ويستمرّ إلى الصفحة السابعة والعشرين بعدَ المئتين حديثٌ طويل، ممَّا جاء في هذا الحديث الشريف: إِنَّ الإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّيْن - الإمامةُ هي من شؤون الإمام، الإمامةُ في زماننا من شؤون الحُجَّة بن الحسن، الإمامُ شيء والإمامةُ شيء، الإمامةُ شأنٌ من شؤونه - وَنِظَامُ الْمُسْلِمِين وَصَلاحُ الدُّنْيا وَعِزُّ الْمُؤْمِنِين - الإمامُ الرضا هُنا يستعملُ (الإمامة) عُنواناً يُشيرُ به إلى الإمام - إِنَّ الإِمَامَة أُسُّ الإِسْلام النَّامي وَفَرْعُهُ السَّامي، بِالإِمَامِ تَمَامُ الصَّلاة وَالزَّكَاة وَالصِّيام وَالحَج وَالجِهَاد - إلى سائر العناوين الأخرى، لماذا؟ لأنَّ الإمامَ هُو أصلُ ديننا، وهذا الدِّينُ لهُ أصلٌ واحد هو الإمام، هذه الجُمَلُ كُلُّها تُشيرُ إلى هذا..

سَلُوا مرا جعكم الثيران في النَّجف وكربلاء هل عندَهُم من نُصوص تقول من أنَّ أصول الدِّينِ خمسة؟ في أيِّ مكان؟ في أيِّ مصدر؟

) تحف العقول) لابن شعبة/ طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ لبنان/ هُناكَ وصيّةٌ مهمَّةٌ من إمامنا الصَّادق لأحد أصحابه لعبد اللّه بنِ جُندب، صفحة (223) الإمامُ الصَّادقُ يقولُ له - يَا ابْنَ جُنْدُب (يَا ابْنَ جُنْدُب) الإِسْلامُ عُرْيَانٌ فَلِبَاسُهُ الحياء، وَزِينَتُهُ الوَقَار، وَمُرُوَّتُهُ العَمَلُ الصَّالِح، وَعِمَادُهُ الوَرَعُ - كُلُّ هذه مفرداتٌ في ديننا - وَلِكُلِّ شَيءٍ أَسَاس - هذه بديهيَّةٌ كُلُّ شيءٍ لهُ أساس - وَأَسَاسُ الإِسْلامِ - مَا هُوَ؟ - حُبُّنَا أَهْل البَيْت - وهذا عُنوانٌ يُشيرُ إلى المودَّة إلى الوَلاية إلى الإمامة يُشيرُ إلى معرفة إمام زماننا..

الجزء الثاني من (الكافي الشريف)، الحديث الخامس من بابِ دعائم الإسلام: بِسَنده - بسند الكليني - عَن زُرَارة، عَن إمامنا الباقرِ صَلواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه - الصفحة الثالثة والأربعين، الباقرُ يقول: بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسَة أَشْيَاء؛ عَلَى الصَّلاة وَالزَّكَاة وَالحج وَالصَّوم وَالوَلاية، قَالَ زُرَارَةُ: فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيءٍ من ذَلكَ أَفْضَل؟ فَقَالَ: الوَلاَيَةُ أَفْضَل لأَنَّها مِفْتَاحُهُنّ، وَالوَالِي - وهو الإمام - وَالوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيهِنّ - هذا يعني أنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ والحج والصَّوم وسائر العَناوين الأخرى كُلُّ ذلكَ يُساوي صفراً من دونِ الوَلاية،

إلى أن يقولَ إمامُنا الباقرُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: ذُرْوَة الأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الأَشْيَاء وَرِضَى الرَّحْمَنِ الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِه، إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُول: "مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً"، أَمَا لَو أَنَّ رَجُلاً قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِه وَحَجَّ جَمِيعَ دَهْرِه وَلَم يَعْرِف وَلاَيَةَ وَلِيِّ اللّه فَيُوَالِيه وَيَكُونُ جَمِيعُ أَعْمَالِه بِدَلاَلَتِه إِلَيه، مَا كَانَ لَهُ عَلَى اللّه جَلَّ وَعَزَّ حَقٌّ فِي ثَوَابِه وَلَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَان - يَعني أَنَّ الإِمامَ هُوَ الَّذي يضعُ منظومةَ عَمله، فما بالُكم بالعقيدة؟!

في الصفحة الخامسة والأربعين، الحديثُ الثامن: عَن إمامنا الباقرِ صَلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه، بُنِي الإِسْلامُ عَلَى خَمْس؛ الصَّلاة وَالزَّكَاة وَالصَّوم وَالحج وَالوَلاَية، وَلَم يُنَادَى بِشَيءٍ مَا نُودِي بِالْوَلاَيَة يَوْمَ الغَدِير - ليسَ هُناكَ من شيءٍ أرادهُ اللّهَ مثلما أرادَ الوَلايةَ في يوم الغدير، ولذلك جاء الخطابُ في القُرآن: ﴿وَإِن لَم تَفْعَل فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه﴾، ليسَ هُناكَ في ديننا من شيء كُلُّ شيء في مُواجهته من دُونه يُساوي صفراً إلَّا بيعة الغدير، ما عندَنا من شيء في ديننا كبيعة الغدير، إذا أردنا أن نُحوِّلَ ديننا إلى معادلات، المعادلةُ الَّتي يَكونُ فيها كُلُّ شيءٍ يُساوي صفراً من دُونِ طرفٍ واحد هي مُعادلةُ بَيعة الغدير، هذا هو دينُ الأصل الواحد، ديننا يبتني على أصلٍ واحد، أدركوا أنفسكم!!

) علَلُ الشرائع) لشيخنا الصّدوق المتوفّى سنة (381) للهجرة، الجزء الأوَّل، البابُ التاسع: "علَّة خَلْق الخَلْق واختلاف أحوالهم": (بِسَنده - بسند الصّدوق - عَن إِمَامِنا الصَّادِقِ صَلواتُ اللّه وسَلامُهُ عليه يَقُول: خَرَجَ الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ عَلَى أَصْحَابِه فَقَال: أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ اللّهَ جَلَّ ذِكرُه مَا خَلَقَ العِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوه، فَإِذَا عَرَفُوهُ

عَبَدُوه، فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوا بِعِبَادَتِه عَنْ عِبادَةِ مَنْ سِوَاه، فَقَالَ لَهُ رَجُل: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَمَا مَعْرِفَةُ اللّه؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُم الَّذِي يَجِبُ عَلَيهِم طَاعَتِه)، هَذا هو الأصلُ الواحد لدينا لعبادتنا لتوحيدنا لقُرآننا، هذا هو منهجُ العترة..

قد يقولُ قائلٌ: التوحيدُ جُزءٌ من ديننا، النُبوّةُ جُزءٌ من ديننا، صحيحٌ هذا، المعادُ جزءٌ من ديننا، كُلُّ هذا صحيحٌ، وهل أنّي أقولُ غَيرَ ذلك؟!

لكنّني أقولُ لَكُم: من أنَّ إبليسَ لَمَّا رَفضَ السجودَ لأبينا آدم ما الَّذي جرى عليه؟ لَعَنهُ اللّهُ وطردَهُ وعاقبتهُ إلى النَّار، معَ أنَّ إبليسَ كانَ يُؤمنُ باللّه، معَ أنَّ إبليس إنَّما ار تفعَ وَصارَ معَ الملائكة لأنَّ اللّهَ سُبحانه وتعالى حينما عاقبَ الجنّ في الأرض كانَ إبليسُ أفضلَهُم فجازاهُ اللّه أن رفعهُ وجعلهُ معَ الملائكة، لكنَّهُ حينما اختارَ منظومةً خاصَّةً بحسبِ ما يُريد جرى الَّذي جرى عليه، الحكايةُ هُنا، الإسلامُ تَسليمٌ، عليكُم أن تُسَلِّموا لِمَا جاءَ في قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، ولِمَا جاء في حديثهم المفهَّم بتفهيمهم، اللّهُ هكذا يُريد، القضيّةُ ليست مزاجيةً.

الجزء الأوَّل من (الكافي الشريف)، الحديثَ الذهب، من الكُتُب الذَهب، عن الأئمَّة الَّذينَ هُم صُنَّاعُ معادن الذهب، صفحة (216)، الحديثُ السادس: عَن إِمَامنا الكَاظِم صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنا - إِنَّهُ يتحدَّثُ عنَ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد - فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا، وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا، وَجَعَلَنَا خُزَّانَهُ فِي سَمَائه وَأَرْضه وَلَنَا نَطَقَت الشَّجَرة - إِنَّها شجرةُ الوجود، إِنَّها الشَّجرةُ الزَّيتونةُ المباركةُ الَّتي لا هي شرقيّةٌ ولا هي غربيّة، موطنُ الشاهدِ هُنا: وَبِعِبَادَتنا عُبِدَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللّه - هُم الأصل.

صفحة (217)، الحديثُ الثاني: بِسنده - بِسند الكليني - عَن أَبِي بَصِير، عَن إِمَامنَا الصَّادق صَلواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه: الأَوْصِيَاءُ هُم أَبْوَابُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ الَّتي يُؤْتَى منْهَا - من هذا الباب نحنُ نَصلُ إلى اللّه من خِلالِ إمامِ زماننا - وَلَوْلَاهُم مَا عُرِفَ اللّهُ عَزَّ وَجَلّ، وَبِهِم احْتَجَّ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلى خَلْقِه - هؤلاء هُم حجّةٌ المطلقةَ، وهُم أبوابهُ الواسعةَ.

في دعاء الغَيبَة، في مفاتيح الجِنان، من النَّاحية المقدَّسة، من التوقيعات الشريفة: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَك فَإِنَّك إِنْ لَم تُعَرِّفْنِي نَفْسَك لَم أَعْرِف رَسُولَك، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَك فَإِنَّك إِنْ لَم تُعَرِّفْنِي رَسُولَك لَم أَعْرِف حُجَّتَك - الكلامُ إجماليّ، التفصيلُ هُنا: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَك ضَلَلْتُ عَن دِينِي - الدُّعاء ما قالَ: فَإِنَّكَ إن لم تُعرِّفني نفسكَ يا اللّه ضَلَلتُ عن ديني، الدُّعاء ما قال: فَإِنَّكَ إن لم تُعرفني رسولكَ يا اللّه ضَلَلتُ عن ديني، وإنَّما قالَ الدُّعاء: إِنَّكَ إِنْ لَم تُعَرِّفني حُجَّتَك ضَلَلتُ عَن دِيني، معرفةُ اللّه مُفردةٌ من مُفردات ديننا، معرفةُ رسول اللّه مُفردةٌ من مفردات ديننا، لكنَّ الأصل هكذا يُريدُ اللّه وهكذا يُريدُ رسوله، هل نعترضُ على اللّه وعلى رسوله؟ ألا تُلاحظونَ أنَّ لوحةً مُتكاملةً تنشأُ من كُلِّ هذهِ المعطيات تُشيرُ إلى حقيقةٍ واحدة؛ "من أنَّ ديننا لهُ أصلٌ واحد، وهذا الأصلُ هو الإمامُ المعصوم وانتهينا.

-اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّةً - حينما أجهلُ مَعرفةَ إمامِ زماني، "مَن بَاتَ لَيْلَةً - الإمامُ الصَّادقُ يقول: مَنْ بَاتَ لَيْلَةً لَا يَعرِفُ فِيها إِمَامَ زَمَانه مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيّة" - وَلَا تُزِغ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، اللَّهُمَّ فَكَمَا هَدَيْتَنِي لِوِلَايَةِ مَنْ فَرَضْتَ عَلَيَّ طَاعَتهُ مِن وِلَايَةِ وِلَاةِ أَمْرِك - الحديثُ تَحولَ إلى إمامِ زماننا لأنَّهُ أصلُ ديننا - بَعْدَ رَسُولِك صَلَواتُك عَلَيه وَآله - إِنَّها وِلايةُ إمامِ زماننا..

في حديث المعرفة بالنَّورانيّة؛ في الجزء السادس والعشرين من (بحار الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دارِ إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، في أوَّل صفحة من الكتاب حديثُ المعرفة بالنَّورانية أميرُ المؤمنين يُخاطبُ سلمانَ وأبا ذر: يَا سَلْمَانُ وَيَا جُنْدَب - هذا هو اسمُ أبي ذر - قَالا: لَبَّيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنين، قَالَ: مَعْرِفَتِي بِالنُّوْرَانِيَّة مَعْرِفَةُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْرِفَةُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَتِي بِالنُّوْرَانِيَّة وَهُوَ الدِّيْنُ الخَالِصُ الَّذِي قَالَ اللّهُ تَعَالَى: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ" - إِلى أن يَقولَ في الصفحة الثالثة: وَأَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ، فَمَن اسْتَكْمَلَ مَعْرِفَتِي فَهُوَ عَلَى الدِّيْنِ القَيِّم كَمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى: "وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ" - صلواتٌ على القَيِّمة، باقرِ العلوم يقول: (القَيِّمةُ فَاطِمَةَ)، فَاطِمَةُ هي القَيِّمةُ على الدِّينِ وأهل الدِّين، كُلُّ المضامين تصبّ في مجرى واحد.

في دعاء النُّدبة الشريف ونحنُ نُناجي إمامَ زماننا: أَيْنَ بَابُ اللّه الَّذِي منْهُ يُؤْتَى - هذا هوَ البابُ الوحيدُ المفتوحُ لديننا ومن ديننا - أَيْنَ وَجْهُ اللّه الَّذِي إِلَيه يتوجَّهُ الأَوْلِياء، أَيْنَ السَّبَبُ المُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْض وَالسَّمَاء - فإمامُنا هُو البَاب، وهُو الوجهُ، وهُو السّبب، وهذا هو معنى أنَّ الدِّينَ لهُ أصلٌ واحد..

في زيارة آلَ ياسين؛ في (مفاتيح الجِنان)، وزيارةُ آل ياسين توقيعٌ من تواقيع النَّاحية المقدَّسة جاءتنا من إمامِ زماننا، نُخاطبُ إمامَنا القائم: ((وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللّه أَنْتُم الأَوَّلُ وَالآخِر)) أنتُم الأوَّلُ والآخر أنتُم الأصل، هذهِ الجملةُ تختصرُ ما تَقدَّمَ من كلامٍ في آيات الكتاب الكريمِ وفي الأحاديثِ والرواياتِ والأدعيةِ والزياراتِ..

في الجزء الأوَّل من الكافي الشريف:

الصفحة الخامسة بعدَ المئتين الحديثُ السابع: بِسنده، عَن إِمَامنَا الصَّادق صلواتُ اللّه وسَلامُهُ عَليه: أَبَى اللّهُ أن يُجري الأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَاب، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيء سَبَباً، وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرحٍ عِلْماً، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَاباً نَاطِقاً عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَه وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه ذَاكَ رَسُولُ اللّه وَنَحنُ - هذا هوَ الأصل، الأصلُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّد، الأصلُ في زمانِنا الحُجَّةُ بن الحسن، هذه منظومةُ الدِّينِ ومنظومةُ العقيدة الَّتي يتعبّدنا اللّهُ بها..

الحديثُ الثامن: بِسنده، عَن مُحَمَّد بنِ مُسلم، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَر - إمامُنا الباقرِ صلواتُ اللّه عليه - يَقُول: كُلُّ مَن دَانَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادَة يُجْهِدُ فِيهَا نَفْسَه - "يُجهِدُ فيها نَفْسَه"؛ يُتعبُ فيها نفسه - وَلَا إِمَامَ لَهُ منَ اللّه فَسَعْيُهُ غَيْرُ مَقْبُول، وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّر وَاللّهُ شَانِئٌ لِأَعْمَاله - هكذا يُريدُ اللّه، دينُ اللّه رَسَمهُ اللّهُ بهذه الطريقة، تُريدون أن تعترضوا على اللّه اعترضوا على اللّه، هذا هو برنامج اللّه..

الحديثُ التاسع في الصفحة السادسة بعدَ المئتين: بِسند الكُليني، عَن الهَيْثَم بنِ وَاقد، عَن مُقَرِّن قَالَ: سَمعتُ أَبَا عَبد اللّه - إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه - يَقُول: جَاء ابنُ الكَوّاء - ابنُ الكَوّاء شخصيّةٌ مُنافرةٌ لأمير المؤمنين - إِلَى أَمير الـمُؤْمنين فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمنين، "وَعَلَى الأَعْرَاف رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُم"؟ - يسألُ عن الآية - فَقَالَ أَمِيرُ الـمُؤْمنين: نَحْنُ عَلَى الأَعْرَاف نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُم، وَنَحنُ الأَعْرَاف الَّذِي لَا يُعْرَفُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا، وَنَحنُ الأَعْرَاف يُعَرِّفُنَا اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَة عَلَى الصِّرَاط، فَلَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَّفْنَاه، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَأَنْكَرْنَاه، إِنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَو شَاءَ لَعَرَّفَ العِبَادَ نَفْسَه، وَلَكن جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْه الَّذِي يُؤْتَى منْه، فَمَن عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَو فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنا فَإِنَّهُم عَن الصِّرَاط لَنَاكِبُون - هذا هو الَّذي يُريدهُ اللّه، سَقيفةُ بني ساعدة لَا يُعجِبها هذا فاقترحت دِيناً، الطوسي لا يُعجِبُهُ هذا فاقترح ديناً، حوزةُ النَّجف حمير لا يعرفونَ أنَّ الطوسي قد عَبثَ بِهِم..

- فَلا سواء مَن اعْتَصَم النَّاسُ بِهِ وَلَا سَواء حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلى عُيُونٍ كَدِرَة يُفْرِغُ بَعْضُها فِي بَعْض وَذَهَبَ مَن ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِية تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاع.

في الصفحة السابعة بعدَ المئتين، الحديثُ الثاني عشر: بِسنده - بسند الكليني - عَن أَبِي بَصِير، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَعْفَر - إمامُنا الباقرُ صلواتُ اللّه عليه، الباقرُ يسأَلُ أبا بَصِير حينما قَدم إلى المدينة: هَلْ عَرَفْتَ إِمَامك؟ - فَماذا أجابَ أبو بصير؟ - إِي وَاللَّهِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الكُوفَة، فَقَالَ الإِمَامُ: حَسْبُكَ إِذاً - لأَنَّ معرفةَ الإمامِ أصلُ الأُصول، هذه الكلمةُ تُلخِّصُ الحقيقةَ كُلَّها.

أنا أسألُكم: هل عرفتُم إِمَامَكُم؟!

إذا كانَ الجوابُ كجوابِ أبي بصير؛ "حَسْبُكُم إذاً"، إنَّهُ أصلُ الأصول، هذا هو أصلُ ديننا.

في الزيارة الجامعة الكبيرة نُخاطبهم صلواتُ اللّهِ عليهم: ((مَنْ أَرَادَ اللّه بَدَأَ بِكُم - فَهُم الأصل - وَمَنْ وَحّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم)).

هكذا نقرأُ في رواياتهم وأحاديثهم:

في الجزء الأول من (البرهان في تفسير القُرآن)، للسيّد هاشم البحراني، جامعٌ من جوامع أحاديثنا التفسيريّة، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الصفحة السابعة والخمسين، الحديثُ الحادي عشر: عَن إِمَامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه - أَأَخَذُ منهُ موطنَ الحاجة من أَوَّل الحديث، الإمامُ يقول: نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ بِر - وهذا هو الَّذي كُنتُ أُحدِّثكُم عنه - وَمِن فُرُوعنا كُلُّ بِرٍّ، وَمِن البرِّ - الَّذي هُو من فُروعهم - وَمِنَ البِرِّ؛ التَّوحِيدُ وَالصَّلاةُ وَالصِّيَامُ - إلى بقية العناوين.

هذا هو الَّذي تقصدهُ الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة: مَنْ أَرَادَ اللّهَ بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّه إِلَيكُم - فالتوحيدُ من فروعكم، لأنَّ التوحيدُ ما هُوَ اللّه، التوحيدَ فكرةٌ عن اللّه نأخُذُها من المعصوم، فكرةٌ بِحسبنا، ما نَعرِفهُ عَن اللّه بِحسبنا، ما نعرفهُ عن اللّه لَيسَ هُوَ اللّه، نَحنُ لا نعرفُ شيئاً عن اللّه، لكنَّنا نعرفُ ما نعرفُ عن اللّه بِحَسبنا وهذا نأخذهُ منَ المعصوم..

لأنَّ اللّه يُريدُ ذلك، لأنَّهُ سُبحانهُ وتعالى جَعَلَهم وَجهَهُ الأكرم، فلمَّا جَعَلهم وَجهَهُ الأكرم صارَ لزاماً علينا أن نتوجَّه إِلَيهم، لأنَّنا لا ندري إلى أيِّ جهةٍ نتوجَّه إذا أردنا أن نتوجَّهَ إلى اللّه، فجعلَ لنا وَجهاً نَتوجَّهُ إليه هُو وَجهه، إنَّهم مُحمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، الحقيقةُ هي هذه لا يوجدُ شيء آخر..

-مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُم وَمِنَ الوَصْفِ قَدْرَكُم - أنتُم الأَوَّلُ والآخِر، أنتُم أئِمَّتي، أنتُم أصلُ ديني ودينكم ديني، ودينكم يبتني على أصلٍ واحد هوَ أنتُم، فأنتُم الأوَّل والآخر سادتي وأوليائي.

في دعاء شهر رجب وهوَ الدُّعاء المرويّ عن إمامِ زماننا، من توقيعات النَّاحية المقدَّسة، الحديثُ عن مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ اللّه عليهم: فَجَعَلْتَهُم مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان - هذه العبائرَ تُحدِّثنا عن أَنَّهُمَ أساسَ الوجود، عن أَنَّهمَ الأصلُ في التكوين..

"فَجَعَلْتَهُم مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِك"؛ كَلِماتُ اللّه مَا هيَ بألفاظ وحروف، كلماتُ اللّه عجائبُ إبداعه وخَلْقه، العَرشُ كلمةٌ من كلمات اللّه وما هي من أعلى الكَلِمات، الكَلمةُ الأعلى مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، الكرسيّ من كلمات اللّه، الملائكةُ الكَرّوبيّونَ من كلمات اللّه، اللَّوحُ المحفوظُ من كَلمات اللّه..

نحنُ نتحدَّثُ عن الوجودِ وأفاقه، وعن التكوينِ ومراتبه وأطباقه، نتحدَّثُ عن التشريعِ وحقائقه وأسراره، نتحَدَّثُ عن كُلِّ شيءٍ جاء مِن فَيض اللّه سُبحانهُ وتعالى وجاء في فَيضه - فِي كُلِّ مَكَان يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك.

إلى أن يقولَ الدُّعاء الشريف: (فَبِهِم مَلَأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَك - هُم الأصل، إذا أردنا أن نَنظُرَ إلى السَّماءِ وما فيها، وإلى الأرضِ وما فيها فإنَّ الأصلَ هُم، هذا في التكوين وما في التكوينِ ينعكسُ في التشريع، فَكُلُّ شيءٍ في الدِّينِ مِنهُم وإليهم.

-حَتَّى ظَهَر أَنْ لَا إِلَه إِلَّا أَنْت).

المضمونُ هو نفسهُ الَّذي نقرأهُ في دعاء كميل: (وَبِأَسْمَائِك الَّتِي مَلَأْتَ أَرْكَانَ كُلِّ شَيء)، ملأت أركانَ كُلِّ شيء، هُم الأصلُ في كُلِّ شيءٍ في الوجود وأفاقه، وهُم الأصلُ في كُلِّ شيءٍ في التكوينِ وأطباقه، وهُم الأصلُ في كُلِّ شيءٍ في التشريع وحقائقهِ وأسراره، وهذا هو المرادُ من أنَّ الدينَ لهُ أصلٌ واحد، هكذَا يُفْهَمُ الدِّين يا أيّها الشيعة.